جهود العلماء في استنباط الهداية الدعوية من السيرة النبوية

الدكتور المحمد الينبعي([1])

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين،والصلاة والسلام على المبعوث بالقرآن هداية ورحمة للعالمين، وعلى كل من تفقه في سيرته واهتدى بهديه في الدعوة والإصلاح إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن أحسن وأشرف ما يفني فيه المؤمن عمره، ويقضي فيه الفتى شبابه، وينفق فيه الغني ماله، ويوظف فيه العالم علمه، هو الدعوة إلى الله تعالى. قال عز وجل: (**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين**)[2].

ومعلوم أن للدعوة نسمات ونفحات، وإشراقات وومضات، وأنوارا وتجليات، وأن للدعاة سبحات ونظرات، ووقفات وعبرات. وأن للمدعوين مواقف ومراجعات، وتساؤلات واستفسارات. وأن لله منحا ونفحات، وبركات وكرامات، يتعرض لها الواهون بالأسحار، الذاكرون الله تعالى بالعشي والإبكار.

وليس الدعاة والمدعوون هناك سواء. فمن الدعاة الظالم لنفسه ومنهم المقتصد ومنهم السابق بالخيرات بإذن الله. ومن المدعوين الجاهل **بعلم الحقيقة**، أو **بعلم الشريعة**، أو **بعلم الخليقة**، أو الجاهل بعلم ذلك كله. بسبب ما غشي الفؤاد من **ظلمات التفكير وظلمات التعبير وظلمات التدبير**. حتى إذا مستهم بركات الدعوة وتخللتهم نفحاتها، خرجوا من بطون تلك الظلمات والجهالات أحياء، لهم أعين يبصرون بها ولهم آذان يسمعون بها ولهم قلوب يفقهونا بها. هنالك تبينوا **مفهوم الدعوة وحقيقتها فأدركوا قواعدها العلمية وتضلعوا من فقه السيرة فاستوعبوا ضوابطها المنهجية. ثم انطلقوا في القيام بأمر الدعوة تنظيرا وتطبيقا، تأصيلا وتقعيدا**، فتعددت الطرق والمناهج وتنوعت الوسائل والأساليب، وتباينت الآراء والمنطلقات، وتناثرت الكتب والمصنفات. لكنها جميعها جاءت ثمرة لواقع معين ومعالجات مرهونة بزمانها ومكانها وأشخاصها، مما يحتم علينا الاستمرار في **تجديد فهم قواعد الدعوة وأصولها في ضوء التفقه في مصادرها واستقراء جهود**

---

[1]- أكاديمية فاس .

[2]- فصلت: 32

الأمة في بيانها. لأنه قد لا يكون الوقوف على معرفة الدليل النظري من الكتاب والسنة أو الحدث والتطبيق العملي من السيرة والتاريخ وحده كافيا لاختيار وسيلة الدعوة، بل لابد مع ذلك من دراسة دقيقة لأسباب نزول الآيات وسبب ورود الأحاديث، إضافة إلى دراسة شاملة للظروف والملابسات التي أحاطت بالتطبيق، والمقايسة بالواقع الذي نحن فيه،حتى نتمكن من الاختيار الصائب الذي يجلب المصالح ويحصنها أو يدفع المفاسد ويقللها. وبهذا الفقه العميق والفهم السليم، **يمكن أن نعطي للواقع حقه من الواجب وللواجب حقه من الواقع، دونما تصادم مع النصوص أو المقاصد أو الكليات**، ويمكن بعد ذلك حفظ الدعوة من انتحال الدعاة المبطلين،وتجنيبها تحريف الغالين من المدعوين، ووقايتها شر تأويل الجاهلين من الجهتين. ثم نستطيع بعد ذلك- بتوفيق من الله عز وجل- انتشال الأمة من الوهدة التي انحدرت إليها،وتخلص العباد من عصبة فرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، وأضلوا أهلها عن طريق الرشاد، فأصبحوا لا يرون من فقه الدعوة إلا التأويلات الفاسدة والاستعمالات الخاطئة. والمناهج المنحرفة.

وأحسب أن موضوع **جهود العلماء في استنباط الهداية الدعوية من السيرة النبوية** يعتبر مدخلا أساسا في التمكن من فقه الدعوة تصورا وتطبيقا. ذلك بأن **السيرة النبوية تكاد تكون محض هدى دعوي**، وهي في السنة تناظر قصص الأنبياء في القرآن، فهي قصة خاتم النبيين، وأعظم المرسلين، سيد ولد آدم، فهي لذلك التجربة الأكمل، والتجربة الأشمل، والتجربة النموذج للوارثين من العلماء إلى قيام الساعة، اجتمع فيها أو كاد ما افترق في غيرها من تجارب الأنبياء، وتم فيها ما لم يكتمل قبل مما لم تدع إليه حاجة تتزيل الدين.فضلا عن أنها هي التي تمثل الإخراج الأمثل للمنهاج حسب ظرف الإخراج: منهاج إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، في مكان بعينه، في زمان بعينه، في ظرف بعينه، في تجمع بشري بعينه، إخراجا اختاره الله جل جلاله، فتزل ونجم وفقه كتابه ونفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسم وفقه سيرته. فلو سأل سائل عن منهاج إحلال القرآن أول مرة في الواقع الجاهلي: من أين كان البدء وبم كان الانتهاء؟ ما هي المراحل الكبرى والصغرى التي استلزمها ذلك؟ ما هي الأهداف المرحلية والوسائل التي استعملت لها؟ كيف كانت العلاقات الداخلية للجسم وكيف تطورت؟ وكيف كانت العلاقات الخارجية وكيف تطورت؟ أو بكلمة جامعة: كيف تم البناء من الألف إلى الياء؟ لو سأل سائل عن ذلك لم يجد غير السيرة النبوية جوابا.لماذا؟ لأن وقائعها نظمت في الزمان، فسمح نظمها برؤية البناء كله مرصوصا يشد بعضه بعضا، وسمح لذلك بأشكال من الفقه والاستنباط لاتتيسر بغير ذلك[1].

[1] – الدعوة مفهومها ومصادرها مقال مرقون للدكتور الشاهد البوشيخي.

ذلك بأن السيرة النبوية العطرة وما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة والمدينة وكيفية معالجته للأحداث والظروف التي واجهته، كل ذلك يوفر لنا مادة غزيرة في موضوع الدعوة، لأن المصطفى صلى الله عليه وسلم قد مر بمختلف الظروف والأحوال التي يمكن أن يمر بها الداعية في كل زمان ومكان. فما من وضعية يكون فيها الداعي أو أحداث تواجهه إلا ويوجد نفسها أو مثلها أو قريب منها في سيرة النبي عليه السلام. فيستفيد منها في الاهتداء إلى التي هي أقوم في الدعوة إلى الله جل جلاله بالحكمة والموعظة الحسنة. لذلك يتعين على الداعية أن يحيط بها علما قدر المستطاع.

ثم إن الهداية الدعوية في السيرة النبوية موضوع جدير بالدراسة والتحليل من لدن العلماء عامة والدعاة خاصة. لأنه يستلهم مباحثه وقضاياه من معين سيد الدعاة محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله. قال تعالى: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرا)[1].

وإسهاما مني في إبراز الهداية الدعوية في السيرة النبوية سأعرض لبيان جهود العلماء في خدمة هذا الجانب من السيرة العطرة، مع بيان مناهجهم في الدراسة والتصنيف، ضمن المحاور التالية:

- **تمهيد يتضمن الضبط المصطلحي لمفاهيم البحث: الهداية الدعوية، السيرة النبوية،**
- **المبحث الأول: أهمية الدراسة الدعوية للسيرة النبوية**
- **المبحث الثاني: جهود العلماء في استنباط الهداية الدعوية من السيرة النبوية**
- **المبحث الثالث: ضوابط التصنيف في الدراسة الدعوية للسيرة النبوية**
- **خاتمة تتضمن توصيات واقتراحات.**

تلكم صورة أولية عن الموضوع الذي أود المشاركة به في مؤتمركم العلمي المبارك، إن حظي بموافقة اللجنة العلمية الموقرة. وأسأل الله لكم التوفيق والنجاح في أعمالكم. والسلام عليكم ورحمة الله

1 ـــ مفهوم الهداية الدعوية:

والمقصود بالهداية الدعوية في هذا المقام[2] ذلكم الفعل الذي ورد في القرآن الكريم مربوطا

---

[1]- سورة الأحزاب: 45-46

[2] – استسمح القارئ الكريم عن عدم الوقوف على مفهوم الهداية الدعوية في المعاجم اللغوية والاصطلاحية واستعمالاته المختلفة في القرآن الكريم والسنة النبوية لأن ذلك يتطلب دراسة شاملة وموسعة لايسمح حجم الموضوع ببسطها، وإنما سأقتصر على ذكر المقصود من هذا المفهوم في سياق هذا البحث فقط.

بالماضي والحاضر والمستقبل، فاعلا له، أو موصوفا به إنسان. ومن ثم لا تصور للدعوة إلى الله في صورها المطلقة السابحة في الفضاء. ولا حديث عن الدعوة إلى الله حديثا لا يدخل واقعا ما في الاعتبار. بل إن كل فعل للدعوة إلى الله هو فعل في واقع، إتماما لمكارمه، وإصلاحا لمفاسده، وتقوية لخيره على شره. بل إن الفعل الدعوي أينما كان ووقتما كان، هو الجواب الحاسم عن السؤال الملح الموضوع في الواقع،والدواء الشافي للداء الذي يئن من شدة وطأته واقع والعلاج الجذري الناجع للمشكلات التي يتخبط في حلها واقع. ولما كان الهدف من الهداية الدعوية هو وصل المدعو بالمدعو إليه الوصل التام المباشر في ظل ظروف بعينها من واقع الدعوة. فإنه يتعين إدخال فعل الأنبياء والرسل عليهم السلام كما تجلى في القصص القرآني وسيرة رسول الله خاتم النبيئين عليه السلام، لابد من إدخاله للتحليل قبل التحديد، لأنه التطبيق العملي الناطق، والصورة المثلى لتجلي المفهوم. من أجل ذلك كان مدار دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام – أي فعلهم في الواقع– كان على ما يلي:

1– التعليم: تعليمهم الناس ما علمهم الله عز وجل، وما علمهم الله عز وجل هو:

أولا: أنه لا إله إلا الله.

قال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)[1]. وقال أيضا: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[2]. وهذا رأس العلم وعموده وذروة سنامه، العلم بالله إلها تألهه القلوب رغبة ورهبة إليه، لا ملجا ولا منجى منه إلا إليه، فتخلص له الدين، وتأتيه سليمة مسلمة لرب العالمين. من علم هذا العلم فقد علم، (إنما يخشى الله من عباده العلماء) أي العلماء به، ومن جهله فقد جهل (قل أفغير الله تامروني أعبد أيها الجاهلون)[3].

ثانيا: أن الحياة حياتان:

دنيا وهي وما فيها فانية.

وأخرى بعدها وهي باقية غير فانية. وهذه هي التي تستحق أن يطلق عليها لفظ الحياة. قال تعالى: (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون)[4]. لأنها لا يذاق فيها الموت. قال سبحانه:

[1] – سورة الأنبياء: 25

[2] – سورة النحل: 36

[3] – سورة الزمر: 64

[4] – سورة العنكبوت: 64

(لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى)[1]. ولأن التمتع فيها لا نهاية له.بخلاف الدنيا فمتاعها قليل. قال تعالى: (قل متاع الدنيا قليل)[2] والاستقرار فيها إلى حين.قال تعالى: (ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين)[3]. لكنها أساس الأخرى، إذ الأخرى دار ثواب فقط، وإنما العمل في الدنيا، وعلى قدر العمل في الدنيا يكون الثواب في الأخرى. قال تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)[4]. وهذا هو السر في مسارعة من يسارع في الخيرات وهم لها سابقون، لامتلاكهم من العلم الأول ولتضلعهم من هذا العلم الثاني (والسابقون السابقون أولئك المقربون) وهذا هو السر أيضا في ثقل وإثقال من يثقل عليه فعل الخير. قال عز وجل: (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس)[5]، لخلوهم من العلم الأول والثاني.قال سبحانه: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمومنين)[6].

ثالثا: أن هدى الله هو الهدى:

فلا هدى للإنسان يمكن أن يهديه للتي هي أقوم وأهدى في شؤونه كلها، وفي كل عصر ومصر، وفي كل حال وظرف، من الهدى الذي أتاه ممن ليس إلا منه الهدى، وهو خالقه ومدبر أمره، والعليم الخبير به، ربه الله جل جلاله.قال سبحناه: (فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكى ونحشره يوم القيامة أعمى) وهدى الله على وجه الأرض كلها اليوم هو كتابه الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[7]. وهو العلم الجامع للعلم الذي تجد فيه جماع العلم الأول والثاني، وما سواه إنما هو أهواء. قال تعالى: (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير)[8]. ذلكم كان العلم الذي علمه الأنبياء الناس من بعد ما علمه الله الأنبياء، وتعليمهم للناس كان على الصور التالية:

1 – تلاوة آياته عليهم ليسمعوه تبليغا لهم وشهادة عليهم.

---

[1] – سورة الدخان: 56

[2] – سورة النساء: 77

[3] – سورة البقرة: 36

[4] – سورة الزلزلة: 8–9

[5] – سورة النساء: 143

[6] – سورة البقرة: 8

[7] – سورة فصلت: 42

[8] – سورة البقرة: 120

2 – إفهام من استجاب منهم المراد من كل ما في كتاب الله تعالى ليتدبروا القول

3– بيان الكيفية التي ينبغي أن يطبق عليها في الواقع لتتبين كيفيات تنزيل الشريعة على الواقع.

وقد جمع سيدنا إبراهيم عليه السلام في أول دعائه، كل ذلك إذ قال: (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم)[1]. وخاتمة دعائه هي ثاني ما عليه مدار دعوة الرسل عليهم السلام.

2 – التزكية: تزكية من استجاب فاستمع الآيات، وفهم المراد والكيفيات، ولكنه لتتم دعوته إلى ربه عليه أن يطبق هو نفسه ذلك تحت إشراف: يصنع على عين الرسول الذي صنع على عين الله: يؤمر وينظر في كيفيات ائتماره، وينهى وينظر في كيفيات انتهائه، لتصحيح أخطاء القول، وتصحيح أخطاء العمل، وتصحح قبل ذلك وبعده أخطاء القصد والنية في القلب. حتى إذا بدأ عوده في الاشتداد أدخل الفرن، ليتخلص من الشوائب فيخلص إلى ربه ليخلص له. فكان تعليم الصبر على الطاعات، وكان تعليم الصبر عن الشهوات، وكان تعليم الصبر في البأساء والضراء، وحين البأس، وكان تعليم الرضا بالقضاء بعد الصبر على البلاء والشكر على السراء، وكان وكان...حتى إذا تمكن منه الإيمان بدأ التمكين له.فكانت الهجرة، وكان الجهاد، وكان القتال، وكان الاستخلاف، وكل ذلك تحت إشراف الوحي قرآنا وسنة. وتزكية من استجاب كما كانت فردية كانت جماعية، فمن أوائل المستجيبين بدأ ويبدأ تخلق الجماعة الجنين، ثم تتدرج في مراحل النمو حتى تصير خلقا آخر: مثله في التواد والتعاطف والتراحم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ثم يكون البلاء فالنجاة، ثم يمكن لها في مكان بكيان، ثم يبدأ جهاد البناء بعد بناء الجهاد.

ثم تكون الدولة الحاملة للدعوة بعد الدعوة الحامل بالدولة، وكل ذلك تحت إشراف الوحي. هذه التزكية الفردية والجماعية تبدأ بالأرواح وتصل إلى الأشباح. وتكون بسلطان القرآن قبل قرآن السلطان. مقدمة الترغيب على الترهيب، والفضل على العدل، جامعة بالحق إلى الحق المتفرق، وموحدة بالحق على الحق المؤتلف من المختلف. فإذا تمت هاته التزكية التي هي التدريب بعد التعليم لم يبق إلا العنصر الثالث الذي به تختم حياة أكمل الرسل وهو:

[1] – سورة البقرة: 129

3 – التكليف: تكليف المعلمين المدربين بحمل الأمانة من بعده، والشهادة على اللاحقين بعد أن شهد هو على السابقين، وهذه خاصية أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه لا نبي بعده، ولذلك قال قولته المشهورة في حجة الوداع: (ألا هل بلغت قالوا: نعم فقال: اللهم اشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب). وقبل ذلك قال تعالى ممتنا على هذه الأمة: (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)[1]. أما من قبله من الأنبياء فربما لم يجاوزوا وصية الأنبياء كفعل إبراهيم أبي الأنبياء في قوله تعالى: (وأوصى بها إبراهيم بنيه، ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وانتم مسلمون)[2].

هذا التكليف عنصر أساسي في دعوة خاتم الأنبياء عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم لتوقف استمرار الدين وظهور الدين عليه، وهو عنصر هدف بالنسبة إلى العنصرين السابقين: التعليم والتزكية. إذ لا يشهد غير المعلم تعليما خاصا، المدرب تدريبا خاصا، الحاصل على شهادة من أرسل (شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا)[3]. ولو تأملنا في صنع الله برسله، وهو الذي صنعهم على عينه واصطنعهم لنفسه لوجدناه سبحانه صنع بهم ما صنعوه بأتباعهم، إذ علمهم وزكاهم وكلفهم، حتى إن تجربة آدم عليه السلام، وهي أبسط تجربة في هذا المجال لأوليتها لا تخلو من هاته العناصر. فقد علم الأسماء كلها. قال تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها)[4] ثم زكاه بالتدريب على الأمر والنهي في الجنة فأطاع في الأمر وعصى في النهي. قال تعالى: (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى)[5]. ثم كلفه بالخلافة في الأرض تبعا لما يأتيه من الهدى بعد الإهباط من الجنة. هذه هي العناصر الكبرى لدعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أي فعلهم في الواقع، ومنها يمكن أن يستفاد الآتي:

– **أن فعل الهداية الدعوية يتضمن عملية نقل كاملة** للإنسان من حال فاسدة يكون فيها إلى حال صالحة يصير إليها، وذلك ما عبر عنه القرآن الكريم بدقة القرآن وجمال القرآن ووضوح القرآن في قوله تعالى: (لتخرج الناس من الظلمات إلى النور). (أن اخرج قومك من الظلمات إلى النور) الناس قبل أن تفعل فيهم الدعوة إلى الله فعلها يكونون في الظلمات بكل أنواعها: ظلمات التفكير، وظلمات التعبير، وظلمات التدبير، لأنهم أموات غير أحياء، فإذا مستهم بركاتها وتخللتهم نفحاتها

[1] – سورة البقرة: 143
[2] – سورة البقرة: 131
[3] – سورة الأحزاب: 45-46
[4] – سورة البقرة: 31
[5] – سورة طه: 122

خرجوا من بطون الظلمات كما تخرج النباتات الحية من بطون الأرض، خرجوا أحياء حقا.لهم أعين يبصرون بها ولهم آذان يسمعون بها، ولهم قلوب يعقلون بها.خرجوا إلى النور فأبصروا الأشياء كما هي في أحجامها الحقيقية وألوانها الحقيقية، وأشكالها الحقيقية.إنها حياة القلوب التي تأتي بعد حياة الأجساد.قال سبحانه وتعالى: (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)[1] .

– أن ذلك النقل يتركز على النقل من نوع الفساد أو أنواع الفساد المتمكنة في البيئة، وهذا ظاهر في تركيز كل نبي على أظهر فساد في قومه، إلا أنهم جميعا يربطونه بخلل في حقيقة *لا إله إلا الله* حتى إذا جاءت الدعوة الخاتمة جاءت جامعة لكل صور النقل رابطة لها بالأصل، فكان شعارها الجامع المانع: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ناقلا للإنسان من كل صور الفساد، ودركات الفساد: الكفر والفسوق والعصيان إلى سبيل الهداية والرشاد.

ومما سبق نخلص إلى أن الهداية الدعوية هي: **عملية إخراج ناس بأعيانهم إخراجا وفق منهاج النبوة من ظلمات واقع بعينه إلى نور الله وشرعه المنزل على ذلك الواقع**[2]

2 ـــ السيرة النبوية

وإذا قيل: – السيرة – فالمقصود ما صححه أو يصححه المصححون مما كتبه الكاتبون في تاريخ رسول الله صلى الله عليه وسلم، انطلاقا مما ورد في القرآن الكريم والحديث الصحيح ومقبول أخبار أهل السيرة ورواياتهم، ونحو ذلك مما فيه بيان منهاج إحلال القرآن أول مرة في الواقع الجاهلي: من أين كان البدء وبم كان الانتهاء؟ ما هي المراحل الكبرى والصغرى التي استلزمها ذلك؟ ما هي الأهداف المرحلية والوسائل التي استعملت لها؟ كيف كانت العلاقات الداخلية للجسم وكيف تطورت؟ وكيف كانت العلاقات الخارجية وكيف تطورت؟ أو بكلمة جامعة: كيف تم البناء من الألف إلى الياء؟ كل ذلك وغيره مبثوث في ظلال السيرة النبوية لأن وقائعها نظمت في الزمان، فسمح نظمها برؤِية البناء كله مرصوصا يشد بعضه بعضا، وسمح لذلك بأشكال من الفقه والاستنباط لاتتيسر بغير ذلك.

وفي غياب سيرة صحيحة جامعة يسفر عنها البحث العلمي الجاد، سيظل تهذيب ابن هشام لسيرة ابن إسحاق على علاته المصدر المتلقى في عمومه بالقبول، على أن تدخل التعديلات التي يثبتها البحث العلمي مع الأيام.

---

[1] – سورة الأنعام: 122

[2] – الدعوة مفهومها ومصادرها. مقال مرقون للدكتور الشاهد البوشيخي

المبحث الأول: أهمية الدراسة الدعوية للسيرة النبوية

تتمثل أهمية الدراسة الدعوية للسيرة النبوية في أنها تنتج العلم بأمور تهم الدعوة والقائمين بها، ومن أبرز تلك الأمور ما يأتي:

أولا: معرفة ما ينبغي أن تكون عليه شخصية الداعي؛ بما يحمله معنى الشخصية من مواصفات واعتبارات متعددة والتي منها:

المواصفات السلوكية والخلقية أو العلمية والعملية أو الذاتية والخارجية أو غير ذلك؛ من مواصفات هذه الشخصية، وطرق إعدادها وكيفيات إكمال ما ينقصها، وعوامل ثباتها، ومعرفة حدودها، وإمكاناتها ومسؤولياتها.

ولما كانت شخصية محمد عليه الصلاة والسلام هي الشخصية البشرية الأكمل في مجال القيام بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن دراسة سيرته دراسة دعوية جديرة بإبراز النموذج الدعوي الأكمل.

ثانيا: معرفة المضمون الذي يدعو إليه الداعية نوعا وكما وقدرا، وما يستلزم ذلك من مراعاة ظروف تقديم ذلك المضمون بحسب الحال والمناسبة.ولا شك أن معرفة هديه صلى الله عليه وسلم قبل الإقدام على تقديم مضامين الدعوة،وخصوصا في الأحوال المتغيرة والبيئات الجديدة؛ سبب بإذن الله تعالى للتوفيق والتسديد ، والخروج من مزالق الاجتهاد غير المهتدي بسيرته عليه الصلاة والسلام.

ثالثا: معرفة الكيفيات التي يدعو بها الداعية، والوسائل والأساليب المناسبة، وضوابط تلك الوسائل التي لها حكم الغايات ، ومدى المسؤولية تجاه ما يستجد من وسائل الاتصال والتأثير، وأهمية الإعداد لمعرفة الوسيلة كما يستعد لمعرفة المضمون؛ كل ذلك وغيره يجد له الداعية في سيرة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام جوابا يجعله يقدم على بصيرة، أو يحجم عن بينه.

رابعا: معرفة أصناف المدعوين وخصائص دعوة كل منهم. فدعوة النصارى فيها ما يختلف عن دعوة المشركين، ودعوة المسلم العاصي فيها ما يميزها عن دعوة الكافر، ودعوة المجادل المعاند غير دعوة الباحث عن الحق الراغب في الوقوف على الدليل، وهذا كله يعلم من سيرته عليه الصلاة والسلام بل إنك لتجد شواهد الكتاب والسنة في ذلك مسائل رئيسة في ما سجلته كتب السيرة ومصنفاتها.

خامسا: في دراسة السيرة دراسة دعوية معرفة تطور الدعوة إلى الإسلام منذ بدايتها إلى أن عمت وانتشرت.وكيف أن هذه الدعوة كانت تنتشر ضمن إمكانات البشر وحدود قدراتهم[1]، وأن توفيق الله تعالى يحوط الصادقين المؤمنين كما أن بلاءه قد يصيبهم في مواضع ومواقف متعددة اختبارا وامتحانا ، وما يتبع ذلك من معرفة عوامل النجاح والفشل بالمقياس الرباني فلا اغترار بقوة ولا تقصير في بذل سبب وعدة.

والمتخصصون في الدعوة هم أولى الناس بهذا الاهتمام فعليهم يقع الجزء الأكبر من مسؤولية التأثير الإيجابي في الأمة وحفظ مفهوم الدعوة من **تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**،ونشر هدي الله تعالى بين عباده في كل مكان، ولا شك أن فهم هدي المصطفي في سيرته، واقتفاء معالم هذا الهدي، ودعوة الناس إليه، هو طريق الاستقامة على هذا الدين، وهي – أي السيرة – مدخل عظيم الفائدة في الدعوة بها وإليها. يقول ابن حزم (ت 456 هـ): "إن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورة ، وتشهد له بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته صلى الله عليه وسلم لكفى"[2]. وهذا ما وضّحه شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله – بقوله: "وليست حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوئها، والجسم إلى الطعام والشراب، بل أعظم من ذلك، وأشدّ حاجة من كلّ ما يقدّر ويخطر بالبال. فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه في أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عباده"[3]. فاضطرار العباد إلى المرسلين لا يُعادله اضطرار، وحاجتهم إلى المبشرين والمنذرين لا تماثلها حاجة.. وللعلامة ابن القيم – رحمه الله – كلام نفيس يُشبه كلام شيخه ابن تيمية – رحمه الله – ولا عجب! فكلاهما يصدر عن مشكاة واحدة. يقول – رحمه الله: "فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضى الله البتة إلا على أيديهم. فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به؛ فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميّز أهل الهدى من أهل الضلال. فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها. فأي ضرورة وحاجة فرضت؟ وما ظنّك بمن إذا غاب عنك هديه وما

[1]– مصادر السيرة النبوية وتقويمها للدكتور فاروق حمادة. ص: 17.

[2] – الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم: 2 / 90 ، وانظر ما كتبه الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله حول ميزة السيرة النبوية في كتابه السيرة النبوية دروس وعبر. ص: 15 – 23.

[3] – النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية:

جاء به طرفة عين، فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة. فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحسّ بهذا إلا قلب حيّ. وما لجرحٍ بميتٍ إيلام[1].

والدعوة إلى الله في واقعنا الحاضر تحتاج إلى ذلك أيما حاجة، بل إن كثيرا من الإجابات للأسئلة التي ترد كثيرا في هذا العصر عن قضايا الدعوة ومناهجها؛ يمكن الحصول عليها من هذا النظر المتخصص في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، هذه السيرة التي تمثل المنهج الأمثل للدعوة إلى الله تعالى، والتي يلتقي عند تبجيلها وتوقيرها والوقوف عندها كل من صح إيمانه، وصدق في اتباعه لمحمد عليه الصلاة والسلام، فيكون ذلك سببا في وحدة الدعوة والمؤسسات والجماعات الدعوية، بحيث يكون اختلافهم بعد ذلك – إن وجد– اختلاف تنوع لا تضاد.

المبحث الثاني: جهود العلماء في استنباط الهداية الدعوية من السيرة النبوية

اهتم المسلمون قديما وحديثا بسيرته عليه الصلاة والسلام فبلغ التصنيف فيها مبلغا عظيما.وقد أورد الدكتور صلاح الدين المنجد في كتابه: معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (2491) مصنفا مما صنف باللغة العربية، ويقول: "وما كدت أبدأ عملي حتى أدركت سعته وامتداده وتشعبه وصعوبته، فالتصانيف التي خصت برسول الله صلى الله عليه وسلم، أو تتعلق به آلاف مؤلفة"[2]

وقد كان معظم اهتمام أصحاب السير الأوائل ومن تبعهم جمع المرويات في السيرة وترتيبها علي حسب حدوثها، وتوضيح ما يحتاج منها إلي توضيح، فلم يفتهم من السيرة المباركة شيء جليل ولا دقيق، في هذا المجال إلا أحاطوا به رواية ودراية. وربما ناقشوا ما ثبت وما لم يثبت، ومحصوا الأسانيد والطرق، وقد ألهموا في ذلك أدق طرق الإثبات التي عرفها التاريخ، حتى تميز الغث من السمين، وتبين الحق من الباطل، وصارت حقائق السيرة وأحداثها واضحة، لا يعتريها نقص، ولا يشوبها تقصير، ونقلها العلماء جيلا بعد جيل، حتى وصلت إلينا صورة كاملة مفصلة دقيقة لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجزي الله علماء السيرة عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ولئن كانت الكتابات القديمة تنحو نحو التأصيل والتحقيق والتدوين الدقيق، لأن السلف لم يكن بحاجة – في الغالب – إلي أن يضيفوا إلي السيرة استنتاجات أو استنباطات مما فهموه نظر ا لصفاء أذهانهم، وتوقد قرائحهم، وتفرغهم للعلم، وذيوعه بينهم، وتطبيقهم له في حياتهم. فإن

[1] – زاد المعاد في هدي خير العباد: 1 / 69

[2] – معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. الدكتور صلاح الدين المنجد.ص: 9.

الكتابات المعاصرة في السيرة رأت أنه قد جد على الحياة من التطور والتحديث ما يحتاج إلى عرض السيرة عرضا يوضح نماذج القدوة فيها، ويخلص الأمة مما جاء به العصر الحديث من فتن كثيرة، وشغل شاغل بالمادة، ووسائل إعلامية تحرم النفوس من طمأنينتها، وتقذف بها بعيدا عن الهدوء، وتباعد بينها وبين طلب العلم الذي يسعد الأرواح والقلوب،رأى العلماء أن الحاجة ماسة إلي التفسير والتعليل والموازنة واستنباط العبر، وربط الأحداث بعضها ببعض، واستخلاص النتائج.. بحيث تصبح السيرة مادة سهلة للتطبيق اليومي في حياة المسلم المعاصر، وعنواناً هاديا له في مختلف شؤون حياته، وزاداً تربوياً للمسلم المعاصر، هذا مع المحافظة الكاملة علي نصوص السيرة، كما وردت في مصادرها الصحيحة. وإذا كانت المصنفات القديمة المتخصصة في الدراسة الدعوية للسيرة النبوية نادرة، فإنها في العصر الحديث، بحمد الله، وافرة، مؤطرة ضمن ما يصطلح عليه بالمدرسة الحركية أو مدرسة فقه السيرة. وهي في الحقيقة امتداد طبيعي لأفكار المدرسة العقلية الإصلاحية التي حمل لواءها (جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا). وقد احتفت هذه المدرسة احتفاء خاصاً بالسيرة النبوية،وبيان الجانب الفقهي والحركي منها؛ نظراً لأنها تمثل الجانب العملي من السنة. وفيها تتجلي شخصية المصطفى صلي الله عليه وسلم كداعية إلى الله وقدوة حسنة وقائد، وداع إلي الله بشيراً ونذيراً، وفيها التطبيق العملي الحي للمبادئ القرآنية. وفيها يتجسد القرآن حياً، وفيها نبض الحياة بمواقفها الصعبة الفرح والحزن، أوقات الشدة وأوقات اللين، النصر والهزيمة. وتميزت هذه المدرسة بالمنهج التحليلي، حيث يقوم الباحث بإيراد نصوص السيرة وأحداثها، ثم دراستها وتحليلها ومحاولة النظر في فقهها واستنباط الفوائد والدروس والعبر منها، وهو ما يعبر عنه في أحيان كثير بفقه السيرة، ويدخل في ذلك ما كان شاملا للسيرة أو لجزء أو أجزاء منها.كما تميزت هذه المدرسة بسعة اطلاعها وعظم ثقافتها وانفتاحها ومحاولاتها للتجديد وسهولة العبارة وجمال الأسلوب؛ فعرضوا السيرة في أجمل بيان ومنطق عقلاني يحترم. لم يعتمدوا علي كتب السيرة للأقدمين فحسب، بل زادوا على ذلك استفادتهم من كتب الفقه والحديث وشروحه، حتى أننا نجد من بين مراجعهم ومصادر بحثهم، فتح الباري لابن حجر، وشرح النووي لصحيح مسلم وتفسير القرآن للطبري وغيرة، ومقدمة ابن خلدون فضلاً عن كتب التاريخ الإسلامي العام وكتب علم النفس والاجتماع والإدارة والسياسة والاستراتيجيات العسكرية. لقد حاولت هذه المدرسة إعادة قراءة السيرة النبوية لاستخراج الدروس العملية التي تصلح لعلاج مواطن الضعف والخلل في جسد الأمة العربية والإسلامية[1]. ومن أشهر أعلام هذه المدرسة ما يلي:

[1] – تطور كتابة السيرة النبوية: وائل عزت معوض. مقال نشر في مجلة إليكترونية

ــ **نظرات في السيرة، للإمام حسن البنا** وأصل هذا الكتاب محاضرات ودروس سجلها وأعدها للنشر أحمد عيسي عاشور.

ــ **السيرة النبوية دروس وعبر «للدكتور مصطفي السباعي رحمه الله** وأصل هذا الكتاب محاضرات ألقيت على الطلاب في الجامعة بدمشق، وهو كتاب مختصر قام مؤلفه بتحليل بعض أحداث السيرة، واستخلاص عبرها ودروسها، مركزا علي الجانب التربوي فيها، مخاطبا في المسلم عقله ومستثيرا مشاعره، ومحركا ومنهضا له إلى حب دعوة الإسلام، التي كان هو رحمه الله أحد روادها في هذا العصر.
وعلى الرغم من صغر حجم الكتاب إلا أن مؤلفه ركز على النظر الدعوي لهذه السيرة ولم يسرد السيرة سرد المؤرخين، ولم يجادل في جوانبها فعل الفقهاء والمتكلمين.. وإنما نظر إليها بعين الداعية الخبير الذي يرى سيرة النبي العظيم الأسوة الحسنة لكل الدعاة والمصلحين.

ــ **فقه السيرة« للشيخ الغزالي** رحمه الله، وهو كتاب يربط حقائق السيرة بواقع حياة المسلم في عبارة بليغة وأسلوب مؤثر، يشد العقل والعاطفة في آن واحد، وكأنه قصد بالفقه فقه الحركة والدعوة الإسلامية التي كان هو أحد رموزها، ولا يشوب هذا الكتاب القيم إلا أن مؤلفه رحمه الله وغفر لنا وله خالف منهج المحدثين في إثبات أو نفي بعض وقائع السيرة بتأويل يراه هو سائغا، ومع ذلك فلا غنى للقارئ المسلم المعاصر عن قراءة هذا الكتاب.

ــ **فقه السيرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي**، هو كتاب تعرض فيه المصنف لبعض أحداث السيرة بالتحليل والاستنباط لبعض أحكام وحكم التشريع، مع بعض التوثيق للنصوص التي قام بتحليلها.

ــ **السيرة النبوية «للعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي** رحمه الله؛ وهو كتاب حرص مؤلفه علي أن يجمع بين الجانب العلمي والجانب التربوي والبلاغي، بحيث لا يطغي أحدهما على الآخر، ولذلك فإن الكتاب يفيض عذوبة ورقة، ويمتلئ عاطفة وحيوية وحماسا، بصورة تأسر القلب والعقل معا.

ــ **الأساس في السيرة النبوية وفقهها «للشيخ سعيد حوي** رحمه الله فقد جمع قسم السيرة في ثلاث مجلدات، بطريقة جديدة مبتكرة، إذ يقوم بجمع روايات الحادثة الواحدة وتخريجها وتوثيقها، ثم يعلق ببعض الاستنباطات والنتائج، سواء من فهمه لمجمل النصوص، أو بالنقل عن بعض العلماء، وهو كتاب جيد عظيم النفع، مرتبط بالمشروع الإسلامي الذي كان يدعو إليه مؤلفه رحمه الله.
ــ **مجموعة كتب الأستاذ منير محمد الغضبان في السيرة**، وهي علي ترتيب صدورها: المنهج

الحركي للسيرة النبوية، والمنهج التربوي للسيرة النبوية، وفقه السيرة النبوية، صدر منها بعد ذلك التربية الجهادية في السيرة النبوية، والتربية الجماعية في السيرة النبوية. وقد أجاد المؤلف فيها غاية الإجادة، وقدم فيها منهجا متكاملا لأبناء الحركة الإسلامية المعاصرة في الاستفادة من السيرة، وحسن الفقه لأحداثها، مع ربط الحركة المعاصرة بأحداث السيرة، بين ما هو حاصل وبين ما ينبغي أن يحصل.

وهذه المجموعة ضرورية لا ينبغي لأي عامل للإسلام أو داعية إليه أن يفوته قراءتها والإفادة منها.

ــ **السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد بن محمد أبي شهبة**، رحمه الله وهو كتاب جيد نافع، استقصى فيه المؤلف الآيات والأحاديث المتعلقة بوقائع السيرة، كما استقصي هذه الوقائع، معتمدا علي الصحيح والحسن والمقبول من الروايات، ومؤلفه من كبار علماء الحديث في هذا العصر، مما يعطي لكتابه قيمة علمية ونقدية متميزة، وقد جمع بين السرد التاريخي الصحيح والتعليق الموفق علي كثير من المواقف، بأسلوب راق وعبارة رائقة، وقدم له بمقدمات جد نافعة.[1]

ــ **الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري**، يتناول هذا الكتاب دراسة للسيرة النبوية في عهديها المكي والمدني دراسة تفصيلية بأسلوب عصري وجيز، وقد حاز هذا الكتاب على المركز الأول في مسابقة السيرة النبوية العالمية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي عام 1396هـ. وهو أحد الكتب المتخصصة في سيرة الرسول محمد، حيث كتب عن السيرة فصولاً مضيئة، وموازنات فريدة، وربط الأحداث ببعضها ربطاً متماسكاً بأسلوب بديع أخاذ، حيث استخلص من كتب الأقدمين فوائد بلورها في إيجاز غير مخل، وتطويل غير ممل، فجاء كافياً وافياً. يقول فضيلة الشيخ المباركفوري عن كتابه: «وقد قدر الله لهذا الكتاب من القبول ما لم أكن أرجوه وقت الكتابة، فقد نال المركز الأول في المسابقة، وأقبل عليه الخاصة والعامة إقبالا يغتبط عليه».

ــ (**السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث**). **علي محمد الصلابي**

وإلى جانب هذه المؤلفات، هناك مصنفات أخرى سلك مؤلفوها منهج التخصص في قضايا معينة من فقه الدعوة انطلاقا من السيرة النبوية، وهي كثيرة نذكر منها ما يلي:

[1] – اتجاهات الكتابة والتصنيف في السيرة النبوية ودراساتها الدعوية د. عبد الرحمن عبد الحميد البر.

أولا: (الدعوة في عهدها المكي[1])

ثانيا: (الابتلاء وأثره في الدعوة في العهد النبوي[2])

يقول الباحث: "وقد اقتصرت في هذا البحث على العهد النبوي وذلك لسببين: لوضوح هذا العصر وتوثيق مصادره، ولأنه يعتبر العصر الذهبي للدعوة، فمنه يقتبس الدعاة وعلى نهجه يسيرون ويهتدون... ثم إنني لا أحصر ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه يشمل عصر الخلفاء الراشدين، فإنه يعتبر امتدادا لعصر النبوة لأنه يسير على منهاجه"

ثالثا: (مرحلة الإعداد والتربية للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة [3])

وعنوان الرسالة واضح الاتصال بمدة زمنية ومرحلة معينة من السيرة النبوية

رابعا: (الإيواء والنصرة في العهد النبوي[4])

يقول الباحث في مقدمته للبحث[5]: "والاطلاع والتزود من سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هو السبب الوحيد وراء اختياري لهذا الموضوع، وذلك لأني أحس أنها زاد يدفع المسلم نحو إسلامه وتطلعه كيف كان يعيش الصفوة المختارة مع الإسلام تحت إشراف النبي صلى الله عليه وسلم لذا اخترت هذا الموضوع... وهو يبحث في جانب من جوانب السيرة النبوية التي حدثت فيها نصرة للداعية الأول صلى الله عليه وسلم وكان له أثر في تسهيل أمر الدعوة في ذلك الوقت"

خامسا: (أساليب المشركين في الصد عن الدعوة في العهد المكي ومظاهرها في العصر الحاضر[6])

سادسا: (اتباع الهوى لدى المدعو في العهد النبوي[7])

1- رسالة ماجستير، إعداد: ممدوح عبد العزيز الهياتمي، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض 1402 –1403هـ.

2- بحث متمم لنيل درجة الماجستير، إعداد: عبد الله بن سعد بن إبراهيم الفالح، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض 1404 – 1405هـ.

3- رسالة ماجستير، إعداد: ماجد بن محمد آل مبارك، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض، 1404 – 1405هـ.

4- بحث متمم لنيل درجة الماجستير ، إعداد: إبراهيم بن عبد الرحمن الجريد، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض 1405 – 1406 هـ.

5- المرجع السابق: ص 1 – 2.

6 – رسالة ماجستير إعداد حمزة بن سليمان الطيار ، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، 1416 هـ.

7- رسالة ماجستير، إعداد: مصطفى بن عبد الرحمن البار، كلية الدعوة والإعلام قسم الدعوة والاحتساب، 1417هـ.

يقول الباحث[1]: "ويتأكد هذا الأمر – أعني خطورة إتباع الهوى – بإلقاء نظرة تأمل وتدبر في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بعهديها المكي والمدني حيث تظهر من المدعوين تلك المواقف المتباينة من قبول ورفض، ومن مؤازرة وصدود، وثبات وارتداد، وسرعة في الاستجابة وتأخر تجاه تلك الدعوة المباركة "

سابعا: (أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني ومظاهرها في العصر الحاضر [2])

يقول الباحث[3]: "وهذا البحث – إن شاء الله – يحاول تتبع معظم الأساليب المتعلقة بموضوعه قولية كانت أو عملية، وذلك بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكتب السيرة القديمة والحديثة ومن ثم تبويب تلك الأساليب وتصنيفها وتحليلها "

ثامنا: (دعوة النبي صلى الله للأعراب: الموضوع – الوسيلة – الأسلوب[4])

يقول الباحث[5]: "من خلال اطلاعي على بعض كتب السنة والسيرة والتاريخ وجدتها تشهد بمواقف الأعراب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيفية تعامله معهم فوجدت في بطون هذه الكتب مادة علمية متفرقة جديرة بان تجمع ويشكل منها بحث علمي يثري مكتبة الدعوة الإسلامية مما دفعني إلى بحثها وإخراجها للدعاة لينهجوا نهج النبي صلى الله عليه وسلم عند دعوتهم للأعراب"

تاسعا: (دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء[6])

تقول الباحثة[7] في بيان أحد مناهج الدراسة التي استخدمتها: "المنهج الذي استخدمته هو المنهج التاريخي وذلك بالعودة إلى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم في دعوته للنساء"

عاشرا: (غزوة تبوك دراسة دعوية [8])

1- المرجع السابق، ص: ذ.

[9]– رسالة دكتوراه، إعداد: عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب 1417هـ.

[3] – المرجع السابق ، ص 11.

[4] – رسالة ماجستير، إعداد: حمود بن جابر الحارثي، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، 1417 هـ.

[5] – المرجع السابق، ص 11.

[4] – رسالة ماجستير ، إعداد: الجوهرة بنت محمد العمراني.كلية الدعوة والإعلام،قسم الدعوة والاحتساب،1417– 1418هـ.

[7] – المرجع السابق ، ص 19.

[8] – رسالة ماجستير، إعداد: فاطمة بنت علي بن محمد الحوالي،كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب 1422هـ.

تقول الباحثة[1]: "وقد اخترت غزوة تبوك لتكون موضوع دراستي الدعوية لنيل درجة الماجستير ليس لمجرد الوقوف على الوقائع التاريخية فقط، ولا لسرد ما أجمل فيها من الأحداث، بل للوقوف على أحداث ووقائع الغزوة لاستنباط ما فيها من الدروس والعبر والفوائد الدعوية وبيان كيفية الاستفادة منها في العصر الحاضر".

حادي عشر: (منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية[2])

لاشك أن عنوان هذا البحث يمثل بوضوح صلته بالسيرة النبوية وكونه يركز على النظر في منهج الدعوة بحسب اصطلاح الباحث في فترة محددة من هذه السيرة العطرة، كما أن كتب السيرة هي مادة البحث ونطاقه، يقول الباحث: "من المعلوم أن مصادر السيرة النبوية هي معظم المادة لموضوع البحث"[3].

ثاني عشر: (منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال مرحلة الفترة المكية[4])

يقول الباحث[5]: "حرصت – انسجاما مع طبيعة الموضوع وأهدافه – على أن أتجاوز منهج السرد التاريخي للأحداث الذي سيطر على قسم كبير من الدراسات السابقة، لأستفيد بالإضافة إلى ذلك من المنهج التحليلي، لأن غرضي ليس هو نسخ كتاب جديد في السيرة على طريقة التسجيل التاريخي لوقائع الحركة النبوية وأحداثها بل هو محاولة البحث عما وراء هذه الحركة من قواعد منهجية متناسقة، أخرجتها ذلك الإخراج المحكم، الذي عمل على حماية المضمون الرسالي للدعوة، وحافظ على منجزاتها "

ثالث عشر: (سيد الدعاة محمد صلى الله عليه وسلم[6])

---

[1] – المرجع السابق، ص 2.

[2] – علي بن جابر الحربي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ، ط 1. 1406هـ.

[3] – المرجع السابق ، ص 34

[4] الطيب برغوث ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، هيرندن ، فيرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ط1 ، 1416هـ.

[5] المرجع السابق ، ص 54

[6] حسين محمد يوسف ، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة ، د ت.

ومحوره – كما هو ظاهر في العنوان – شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره داعية، من خلال ما جاء في سيرته عليه الصلاة والسلام.

رابع عشر: (منهج الدعوة في السيرة النبوية[1])

وهو كتاب مختصر جدا جاء في 55 صفحة، وقد شمل 18 عنوانا مستنتجة من أحداث السيرة النبوية؛ بما يخدم فكرة العنوان – منهج الدعوة – التي تتسع لجوانب ومسارات متعددة في اصطلاحات علم الدعوة.

خامس عشر: (رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء والقبائل[2])

وقد أورد فيه مصنفه نصوص 33 رسالة، وشرح عددا منها مبينا أثرها وموقف المرسل إليه منها.

سادس عشر: (منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوة أهل الكتاب[3])

وقد جاء الكتاب في ثلاثة أبواب

سابع عشر: (وقفات تربوية من السيرة النبوية[4])

يقول المؤلف[5]: "والمواقف التربوية في السيرة كثيرة، قلما وقف عندها الدعاة أو الكتاب، ليستلهموا منها العبر، وليستفيدوا منها في حياتهم المعاصرة، فنحن نعيش في عصر نلتقي في كثير من جزئياته مع عصر الرسالة، فما أحوجنا لهذه الوقفات لكي لا نتباكى ونتحسر على تاريخ قد مضى، بل لتكون هذه الوقفات بمثابة تصحيح ما اعوج من المسار إلى الجادة التي سار عليها الرعيل الأول،فإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولتكون هذه الوقفات شيئا من الزاد الذي يعين الدعاة في مواصلة الطريق "

وقد حوى هذا الكتاب 33 وقفة تمثل عناوين مستنبطة من أحداث السيرة ومضامينها بما يخدم الفكرة الموجهة إلى المتلقي، نلاحظ من النماذج الواردة في هذا البحث تعدد وتنوع موضوعات

---

[1] الأستاذ الدكتور: وهبة الزحيلي ، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط1 ، 1420هـ.

[2] خالد سيد علي ، مكتبة دار التراث ، الكويت ، ط1 ، 1407هـ.

[3] د. محمد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي مكتبة أمين محمد أحمد سالم ، المدينة المنورة ، ط1 ، 1413هـ.

[4] عبد الحميد جاسم البلالي ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ط1 ، 1408 هـ.

[5] المرجع السابق ، ص 5

الدراسة الدعوية للسيرة النبوية في إطار التحليل الجزئي. حيث جاءت الموضوعات في عدة أطراف من أبرزها:

قضايا دعوية عامة، مثل منهج الدعوة، وحماية الدعوة، والابتلاء، والإيواء والنصرة.

قضايا تتعلق بالداعية.

قضايا تتعلق بالمدعو مثل دعوة الأعراب والنساء وأهل الكتاب

قضايا تتعلق بالوسائل والأساليب

دراسة أحداث معينة أو فترة معينة من السيرة دراسة دعوية.

قضايا تستنبط من السيرة وتقدم في إطارها لتفيد المتلقي بشكل مباشر.

وبذلك يتبين سعة الدراسة الدعوية للسيرة النبوية، وأن المجال لا يزال رحبا في البحث في إطار هذه الموضوعات وغيرها.

أما طرق تناول هذه الدراسة فهي متنوعة متعددة.

فهناك من يبني الدراسة الدعوية على تسلسل الأحداث فيستنبط منها بحسب تلك الأحداث.

وهناك من يضع قوالب دعوية ويبحث في الجانب الذي يدرسه من السيرة عن كل قالب بما يناسبه.

وهناك من يصنع عناوين متصورة أو مستنبطة من أحداث السيرة ليقدم للمتلقي ما يريد أن يقدمه، في إطار ما جاء في السيرة، ولكل شكل من هذه الأشكال مزاياه. ولكل وجهة هو موليها.

وأرى أن الشكلين الأولين يصلحان غالبا في الدراسات العلمية المتعمقة وهو الحاصل فعلا في أغلب الدراسات الجامعية التي أشرنا إلى شيء منها.

أما الشكل الثالث فهو مناسب للجانب العملي الذي يقصد به التأثير في المتلقي، كأن تكون في كتاب موجه للعموم، أو في خطبة أو محاضرة أو دورة علمية مختصرة، لأنه قد لا يتأتى، أو قد لا يناسب في مثل هذه الظروف تقديم السيرة أو جزءا منها بصورة مطولة متعمقة.

ورغم هذه الدراسات الدعوية للسيرة النبوية الكثيرة والمتنوعة، فإن الدراسات الدعوية التي يمكن أن تعد شاملة للسيرة النبوية قليلة، ولا أعلم نموذجا يمكن أن يذكر في هذا المجال أقرب مما كتبه الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله في كتابه (السيرة النبوية دروس وعبر) على وجازته واختصاره واقتصاره على بعض جوانب السيرة.

ولعل ضخامة السيرة وسعة مجالها، وسعة الاستنباط المتصور في مجموعها سبب مانع للكثيرين من النظر الشامل لها، وأعتقد أنه لو جمعت جهود الذين درسوا أجزاء أو أحداثا من السيرة دراسة دعوية — وهي جهود كثيرة كما رأينا نماذج منها – وأخرجت جهودهم في شكل عمل موسوعي، لحققت — بإذن الله – خيرا كثيرا، وسدت النقص في هذا الجانب، لكن لابد من مراعاة الاتساق في طريقة تناولهم لها، إما بالتخطيط المسبق لهذا العمل وتبنيه في أحد الأقسام العلمية المتخصصة في الجامعات، أو بالطلب من الباحثين الذين سبق أن بحثوا هذه الجوانب بإعادة صياغة كتابتهم بشكل موحد.

وفي هذه الحالة فإن الشكل المرتبط بتسلسل الأحداث – كما هو متعارف عليه في كتابة السيرة النبوية – هو أفضل الصيغ، كما أن الاستنباط المتسق مع الحدث أفضل من القوالب المسبقة، فمثلا إذا كنا ندرس حدث الهجرة؛ فإن الشكل الطبيعي المتسق مع هذا العمل الموسوعي أن نذكر ما يتصل بكل جانب من جوانب الدعوة دون تكلف تقديم أحدها على الآخر، بل بحسب ما ينتجه الأصل المستنبط منه.

فإذا جاء درس حول الداعية نذكره، وإذا تلاه شيء عن المدعو نذكره بعده، وإذا تبعته مسألة عن الوسائل نذكرها، ثم إذا ورد أمر عن الداعية مرة أخرى نذكره دون تكلف جمعه مع سابقه وهكذا.

ولا مانع في نهاية هذا العمل الموسوعي أن تصنع فهارس موضوعية؛ تبين محل كل فائدة بحسب نوعها، فمثلا:

الفوائد والدروس الدعوية المتعلقة بالداعية.

الفوائد والدروس الدعوية المتعلقة بالمدعو.

الفوائد والدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة.

الفوائد والدروس الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها.

الفوائد والدروس الدعوية المتعلقة بأهداف الدعوة.

الفوائد والدروس الدعوية المتعلقة بميادين الدعوة.

الفوائد والدروس الدعوية المتعلقة بمعوقات الدعوة.

وربما يكون الأمر أكثر إجادة وإفادة لو وضعت عناوين فرعية داخل كل نوع من الأنواع السابقة، وذلك يسهل وصول الباحثين إلى مرادهم بشكل مباشر.

المبحث الثالث طرق التصنيف في الدراسة الدعوية للسيرة النبوية

لما كانت سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم تتضمن قصة الدعوة الإسلامية وقصة حاملها الأول عليه الصلاة والسلام فإن الكتب التي كتبت في فقه هذه السيرة وتحليلها يمكن أن تعد استنباطاتها في إطار فقه الدعوة من وجه أو آخر ، فهي باعتبار التصور الأصلي لها أظهر ما تكون في الأمور التالية:

موضوع الدعوة؛ وهي العقائد والأحكام والأخلاق التي يدعى إليها.

أو تتصل بالداعية وصفاته وأخلاقه وإعداده ومسؤولياته ونحو ذلك.

أو تتصل بالمدعو من حيث أحواله ومراعاته وحدود العلاقة به مستجيبا أو منكرا ونحو ذلك.

أو تكون في بيان الوسائل والأساليب من حيث مشروعيتها وأشكالها وترتيبها ونحوه.

أو في بيان مراحلها التاريخية ومناهجها التربوية.

وسنضرب مثالا بما ورد من فقه الدعوة في زاد المعاد لابن القيم رحمه الله، ثم بما ورد في كتاب السيرة النبوية دروس وعبر للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله.

وسبب اختيار الكتابين أن الأول يعد أول كتاب في فقه السيرة والثاني أكثر الكتب التي اطلعت عليها في إطار فقه السيرة وركز فيه مؤلفه على الدروس الدعوية ، مع شموله لغيرها.

أولا: فقه الدعوة في كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد

يتميز كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد بكون صاحبه سلك فيه طريقة متميزة في الكتابة الموضوعية للسيرة انفرد بها دون غيره ممن كتبوا في السيرة النبوية،ذلك بأنه تناول معظم سلوك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في معظم مجالات الحياة الشخصية والعامة سياسيا وعسكريا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وفي كل شئ، وجاء تميز ابن القيم في كتابه هذا بكونه كسر التقليد السائد حينذاك بحصر كتابة السيرة في الجوانب السياسية والعسكرية والدعوية ونقل كتابتها إلى آفاق واسعة باتساع المجالات الاجتماعية والنفسية والثقافية والاقتصادية، ثم تميز الكتاب أيضا بأنه جعل دراسته للسيرة بهدف العمل بمقتضى السلوك النبوي في شتى المجالات، فالسيرة في هذا الكتاب لم تعد مجرد صراع

عقائدي وسياسي ومعارك حربية فقط بل صارت أنساقا متكاملة من السلوك النبوي السامي في جميع المجالات، فعندما تقرأه فكأنك تقرأ عن كل شئ في الإسلام تقريبا. ومن ثم فقد لا نبالغ إذا قلنا بان ابن القيم رحمه الله يعد أول من ألف في فقه السيرة، في كتابه زاد المعاد؛ وتظهر استنباطاته في فقه السيرة لما يتصل بموضوع الدعوة أكثر مما يتصل بالداعية والمدعو والوسيلة.

وباستقراء استنباطاته المتصلة بالسيرة في كتابه نجد أن موضوع الأحكام يأتي أكثر من غيره ثم يليه موضوع العقيدة ثم الأخلاق، وذلك عائد إلى المنحى الفقهي الذي بني عليه المؤلف رحمه الله كتابه.

ومع ذلك نجده يذكر في مواضع عديدة دروسا وفوائد تتصل بالأنواع الأخرى فنجد فوائد تتصل بالداعية وفوائد تتصل بالمدعو وفوائد تتصل بالوسائل والأساليب، ومن الأمثلة مايلي:

قال رحمه الله في فقه قصة الحديبية:

"ومنها أن المشركين وأهل البدع والفجور والبغاة والظلمة إذا طلبوا أمرا يعظمون فيه حرمة من حرمات الله تعالى أجيبوا إليه وأعطوه وأعينوا عليه وإن منعوا غيره فيعاونون على ما فيه تعظيم حرمات الله تعالى لا على كفرهم وبغيهم ويمنعون مما سوى ذلك فكل من التمس المعاونة على محبوب لله تعالى مرض له أجيب إلى ذلك كائنا من كان ما لم يترتب على إعانته على ذلك المحبوب مبغوض لله أعظم منه وهذا من أدق المواضع وأصعبها وأشقها على النفوس ولذلك ضاق عنه من الصحابة من ضاق وقال عمر ما قال حتى عمل له أعمالا بعده والصديق تلقاه بالرضى والتسليم حتى كان قلبه فيه على قلب رسول الله وأجاب عمر عما سأل عنه من ذلك بعين جواب رسول الله وذلك يدل على أن الصديق رضي الله عنه أفضل الصحابة وأكملهم وأعرفهم بالله " [1]

ثانيا: فقه الدعوة في كتاب السيرة النبوية دروس وعبر:

على الرغم من صغر حجم هذا الكتاب الذي بلغ حوالي 170 صفحة من القطع الصغير، وعلى وجازة عرض السيرة؛ الذي جاء على شكل نقاط خلت من الأرقام والإحصاءات التي تحفل بها عادة كتب السيرة الأخرى، إلا أن الجهد الذي بذله مؤلفه رحمه الله فيه كان مميزا بأمور:

تركيزه على النظر الدعوي لهذه السيرة ولا ريب أن السيرة هي قصة الدعوة بكل أبعادها، وقصة الداعية الأول في شخص محمد صلى الله عليه وسلم.

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد 3 / 269

جودة الاستنباط للدروس والعبر الدعوية وتصور الدعوة في شخص الفرد وفي المجتمع المسلم وربطها في عدة مواضع بالحياة المعاصرة.

حيوية العرض وملامسة مشاعر المتلقي ولعل ذلك عائد إلى كون أصل هذا الكتاب محاضرات ألقيت على الطلاب في الجامعة.

يقول مقدم الكتاب:

"والناظر في هذه الصفحات لا يصعب عليه أن يلمس أن أستاذنا الداعية كان يجيل النظر في السيرة النبوية على ضوء الدعوة والداعية والرسول والرسالة، ومن خلال تجربته هو -رحمه الله- في ترسم خطى المصطفى صلى الله عليه وسلم في حقل الدعوة وهداية الناس، فكان لا يني يجد الدروس والعبر التي يتوجه بها إلى الدعاة في كل مكان... ولهذا فإنه رحمه الله لم يسرد السيرة سرد المؤرخين، و لم يجادل في جوانبها فعل الفقهاء والمتكلمين.. وإنما نظر إليه أولا - وقبل كل شيء — بعين الداعية الخبير الذي يرى سيرة النبي العظيم الأسوة الحسنة لكل الدعاة والمصلحين "[1]

ويقول الدكتور فاروق حمادة في كتابه القيم (مصادر السيرة النبوية وتقويمها) عن هذا الكتاب: "يشعر قارئه أنه أمام داعية يعيش الدعوة الإسلامية ويقتفي أثر رائدها السيد الرسول صلى الله عليه وسلم، ويتحرك لأجلها، ويشعر قارئه وكأنه أمام خطيب مدرب؛ يخاطبه بلغة العقل والعاطفة، ويستثير فيه عوامل الإيمان، ويستجيش في نفسه مشاعر الحمية الإسلامية "[2]

ولذلك فلن نعرض لأمثلة لما فيه من الدروس والعبر المتصلة بالدعوة أو أحد أركانها لأن الكتاب غالبه في ذلك.

وإذا كانت السيرة النبوية شاملة لكل قواعد وأركان الهداية الدعوية على جهة العموم والاستغراق، فإن أثرها وتأثيرها في جانبي الدعاة والمدعوين أظهر وأقوى.

أما الدعاة: فإن لدراسة السيرة واستحضار أحداثها من قبل الدعاة فوائد عدة، تعود عليهم بالتوفيق والسداد في عملهم وبالخير العميم في تفكيرهم وتعبيرهم وتدبيرهم. فهي:

1 ــ تملأ صدورهم بالأمل الواسع عندما يلاقون المصاعب والمتاعب والعقبات، وتنأى بهم عن اليأس، وتدفعهم إلى العمل، وذلك عندما يتذكرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واجه الدنيا التي كانت تموج بالشرك والظلم والعدوان، واجهها بعمل وصبر ورفق وحزم وأمل واسع...

---

[1]- السيرة النبوية دروس وعبر للدكتور مصطفى السباعي. ص: 5 — 6.

[2] – مصادر السيرة النبوية وتقويمها للدكتور فاروق حمادة. ص: 110.

فدانت له الدنيا، وخضع لسلطانه الوجود، ولم يمض على وفاته صلى الله عليه وسلم مائة عام حتى كانت دعوته قد عمت الكون المعمور، وأصبحت كلمة التوحيد والتكبير تعلو المآذن من حدود فرنسا إلى حدود الصين: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله.

2 ــ وتبين لهم المراحل التي ينبغي أن يسلكوها في الدعوة متأسين بالنبي صلى الله عليه وسلم، فلقد أخذت دعوته صلى الله عليه وسلم في المدينة منحى يختلف عن المنحى الذي كانت عليه الدعوة في مكة.

3 ــ وتوضح الأوليات ومراتب الواجبات والمحرمات، وتحدد لهم الأمور التي يبدؤون بها، وهي الأمور المتصلة بالعقيدة، فلقد ظل معظم اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة بالتوحيد ونبذ الشرك.

4 ــ وتبين للدعاة الصفات الأساسية المهمة التي ينبغي أن يتصفوا بها وترغبهم بذلك. ومن أهم هذه الصفات: العلم، والتخطيط، والتدرج، والتلطف والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والحلم، والشعور بالمسؤولية، والصبر والثبات، والالتزام بما يدعو الناس إليه، والزهد والقناعة، والجرأة في قول الحق وغير ذلك من الصفات والمؤهلات التي تسهم في نجاح الدعوة وترشيدها. ونكتفي بذكر صفتين عظيمتين على سبيل المثال لا الحصر وهما: العلم والتخطيط.

1- العلم: فقد كان صلى الله عليه وسلم يعلّم أصحابه أحكام الدين، ويدعوهم إلى التعلّم بالقول والفعل: فمن قوله صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى التعلم:

قوله صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة..."[2]

وقوله صلى الله عليه وسلم: "العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم

فمن أخذه أخذ بحظ وافر "[1].

---

[1]- أخرجه ابن ماجه في كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب فضل العلماء والحث على طلب العلم

[2]- أخرجه ابن ماجه في كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب فضل العلماء والحث على طلب العلم

ومن فعله صلى الله عليه وسلم تحقيق ذلك وحضّه على تعلّم الصلاة عملياً كما جاء في الحديث: "صلوا كما رأيتموني أصلي"[2] وتعلم مناسك الحج عملياً كما جاء في الحديث: "خذوا عني مناسككم"[3] وحضّه على تعلّم الكتابة والقراءة كما جاء في حادثة فداء الأسرى فقد روى أحمد بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة.

2- التخطيط: تعلمنا السيرة أن على الدعاة أن يصدروا في أعمالهم عن تخطيط، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطط ويحكم التخطيط، فمن ذلك ترتيبه الهجرة.

لقد خطّط رسول الله صلى الله عليه وسلم لهجرته إلى المدينة، ورسم الخطة، وحدّد الوقت، وأعّد العدّة من الدليل، والزاد، والراحلة على النحو الذي تذكره كتب السنّة، وكتب السيرة. لما اشتد الأذى على المسلمين في مكّة، وأصبح لهم مُهاجَر في المدينة بعد أن ظهر الإسلام شرَع أفراد من المسلمين يهاجرون إليها بصورة فردية، وقد أراد سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن يهاجر، فلما علم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم استبقاه وأشعره أنه ربما سيكون صاحبه في هذه الرحلة.. فاستعد أبو بكر لذلك، فاشترى راحلتين وشرع يعلفهما، ولم يرض النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن يدفع ثمن الراحلة التي سيركبها...

ولما جاءه الإذن من الله بالهجرة أتى سرّاً إلى بيت أبي بكر وأخبره بعزمه على الهجرة، فطلب أبو بكر الصحبة فوافق النبي صلى الله عليه وسلم وفرح أبو بكر رضي الله عنه فرحاً شديداً حتى صار يبكي من الفرح.

ولإحكام الخطة أمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه أن يبيت مكانه كي لا يقع الشك في وجوده، ذلك أن المشركين كانوا يحاصرون البيت يريدون قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد تعاهدوا أن ينقضّوا عليه إذا خرج ويضربوه بسيوفهم ضربة رجل واحد كي يضيع دمه في القبائل، فكانوا يرددون النظر من خلال شقوق في الجدار، وكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً أن يؤدي الأمانات إلى أهلها.

---

[3]- أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب الدعاء بعد الصلاة

[4]- أخرجه مسلم في كتاب الحدود باب حد الزنى

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده من مكة ليلاً، وتقابل مع الصّديق خارج مكة، وانطلقا.

وكان قد استأجر عبد الله بن أريقط، وهو رجل خبير بالطرق ليدلّهما على الطريق، وأعطاه الراحلتين وواعده غار ثور بعد ثلاث ليال.

وانطلق صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه ومعهما عامر بن فهيرة الذي كان يتبعهما بغنم كي يخفى على أثرهما.

وأعدّ صلى الله عليه وسلم لهذه الرحلة عدهّا من الزاد، فوضع في جراب، وقطعت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه نطاقها وربطت به على فم الجراب.

وأقاما في الغار ثلاث ليال حتى ينقطع عنهما الطلب، وكان عبد الله بن أبي بكر يبيت معهما، ثم يقوم من آخر الليل ويعود إلى مكة فيصبح بها ليقف على كيد المشركين ثم يأتي الغار في المساء ويذكر لهما ما سمع من القوم.

وهذا التخطيط لا يتعارض مع التوكل على الله، ذلك لأن الأخذ بالأسباب مطلوب، ثمّ بعد ذلك يكون التوكل على الله، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن سأله أيعقل ناقته أم يتوكل على الله ويتركها هكذا: فقال صلى الله عليه وسلم: "أعقلها وتوكل"[1].

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المتوكلين، وقد خطّط هذا التخطيط العظيم لرحلة الهجرة، إنّ هذا درس للدعاة إلى الله.. إن عليهم أن يصدروا في برامجهم الدعوية عن تخطيط مدروس محكم اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز أن تكون أعمالهم ردود فعل لما يفعله الأعداء المخالفون فقط، بل عليهم أن يكون عملهم قائماً على الخطة التي وضعوها بعد معرفة الواقع والظروف التي يعيشون فيها. **ولا تزال السيرة النبوية بحاجة لأبحاث جديدة تكشف أسرارها ودروسها الدعوية وجوانب شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم المتعددة** أما المدعوون فاستفادهم من السيرة النبوية يكون من أوجه:

1 ــ إن في سماعهم لأحداث سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تنمية لحب النبي صلى الله عليه وسلم، وحبه من أسس الإيمان لقوله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده"[2]

---

[1] – رواه الترمذي في باب فضل الشام واليمن

[2] – أخرجه الطبراني في مسند الشاميين باب شعيب عن أبي الزناد

وروى البخاري عن أنس –رضي الله عنه– بلفظ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"[1]. ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم أمر قائم في نفوس الناس على الرغم من وقوعهم في الانحراف أحيانًا، وهذا يجعل إصغاءهم ومتابعتهم للمتحدث أشد وأقوى وانتفاعهم أعظم.

2 ــ في سماعهم أحداث السيرة إعانة لهم على التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء به.

3 ــ في سماعهم أحداث السيرة إعجاب بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم وتأثر بالموعظة.

4 ــ في سماعهم أحداث السيرة إقناع للمسلمين بأن أحكام الدين التي جاء بها الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم حلت للناس مشكلاتهم.

5 ــ السيرة النبوية تمثل التطبيق العملي لمبادئ الإسلام، وتجعل الأمور المجردة أشياء محسوسة ظاهرة ووقائع في عالم الحس، فهي تجسيد للمعاني الكريمة التي يريد الدعاة أن يقرروها للناس.

6 ــ السيرة النبوية قصة حياة أعظم إنسان عرفته الإنسانية، صلى الله عليه وسلم، ومن الطبائع البشرية أن السامع للقصة عندما يعجب ببطل القصة يحاول تقليده، والقصة شيء تميل إليه النفس، وقصة حياة النبي صلى الله عليه وسلم الذي غرس حبه في قلوب الناس لها تأثير وأي تأثير. كيف لا وهو الحريص على سعادة الأمة أكثر من حرصها نفسها. قال تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عندتم حريص عليكم بالمومنين رءوف رحيم)[2]

خاتـــمـــــــة

إنّ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم صفحة مشرقة في تاريخ الإنسانية قاطبة، ارتفعت الإنسانية به إلى مستوى سامٍ راقٍ لم يتح لها أن تبلغه بأحد من الناس قبله، ولن تبلغه بأحد بعده أبداً وقد عدت سيرته صلى الله عليه وسلم منارة تُطل على قافلة البشرية الحائرة القلقة المشرفة الآن على الانهيار بسبب اندفاعها وراء الشبهات والشهوات، منارة تناديها وتضيء لها سبل الهدى والطهر والاستقامة.

وسيرته صلى الله عليه وسلم هي التطبيق العملي لمبادئ الإسلام، تجد تلك المبادئ حيّة فيما تطلع عليه من أحداث تجلّى فيها المثل الأعلى للحياة السامية، تتوازن فيها دواعي المادة والروح، والعقل والعاطفة، والدين والدنيا توازنا لا يجور فيه جانب على جانب.

1– أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان.

2– سورة التوبة:128

من أجل ذلك كله كانت دراسة السيرة النبوية ضرورة لا بُدّ منها للداعية المسلم، ينهل من معينها، ويتأسى بقواعدها وآدابها. قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا)[1]. ولا يتمّ التأسّي بها ما لم تتضح معالم سيرته في أذهان المقتدين والمرشدين، تفكيرا وتعبيرا وتدبيرا. ثم إنّ عرض الداعية أحداث السيرة في مجال الدعوة يبين أن هذه الأحكام الشرعية والمبادئ الإسلامية التي تضمنتها قامت حقائق ملموسة في واقع الناس في حقبة سعيدة من الزمان في حياة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم، وكانت أكرم حقبة عرفها التاريخ.

إن السيرة النبوية تكفل لنا إيضاح الوسط الروحي المتألق الذي عاشت فيه هذه المبادئ الإسلامية، وتبين كيف انطلقت في حركتها السريعة تسود الدنيا المعمورة في وقت قصير.

إنّ السيرة تبث الحيوية في الدعوة، وتوقظ في الناس الروح الدينية الكريمة، وتخلص الدعوة من كل مظاهر الجهل والغلو والانحراف.

إن واقع المسلمين اليوم مؤلم لبعدهم عن حقيقة دينهم، وهم بحاجة إلى إصلاح يتغلغل إلى أعماق قلوبهم، فيبدّل ما في نفوسهم وأذهانهم من تصورات خاطئة وتأويلات فاسدة، على وزان السيرة النبوية الصحيحة.

وإنّ بشائر الخير، وأمارات التقدّم، تبدو بين حين وآخر باعثة على الأمل، وتحيي موات القلب، وتنشط الهمة، وتحفز إلى العمل، وتنتظر هذه البشائر من يدفعها ويرشدها ويأخذ بيدها، عسى أن تستفيد من متغيرات ما يسمى بالربيع العربي. ولعل من أهم وسائل بعث الأمم المتخلفة، وبث الحياة في كيانها الضعيف، ونفض غبار التأخر والكسل عنها، وإيجاد اليقظة الواعية البنّاءة، ونشر صفحات الماضي المجيد لهذه الأمم، وإحياء بطولاتها في أذهان أبناء الأمة وناشئتها، وحضهم على متابعة السعي وبذل الجهد لاستكمال ما بنى الآباء والأسلاف، السيرة النبوية العطرة بكل مبانيها ومعانيها.

ولذا فإنّ على رجال الفكر، وأرباب القلم، وأهل الدعوة أن يُولوا السيرة النبوية ما تستحق من الاهتمام والدراسة، تأصيلا وتقعيدا، تنظيرا وتطبيقا، فهما واستنباطا. ويستعينوا في ذلك بكل وسائل التواصل الممكنة، عسى ان تشهد السيرة حضورا في التفكير والتعبير والتدبير، فترفع بها الهمة وتتحدد المهمة ويتحد الهم. قال عبد الرحمن عزام: "من الأبطال من امتازوا باتساع دائرة تأثيرهم

[1] – سورة الأحزاب:21.

وسلطانهم... أولئك هم المبرزون في تاريخ الإنسانية، وأولئك هم الذي كان لإصلاحهم الخلود والأثر الباقي، وأعظم هؤلاء هو محمد صلى الله عليه وسلم ".[1]

ومعلوم أن جانب الدعوة إلى الله في السيرة النبوية يشمل السيرة كلها، فرسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد ومبشر ونذير وداعٍ إلى الله.. بل هو إمام الدعاة وسيدهم صلوات الله وسلامه عليه يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)[2].

وقد خلص البحث في هذا الموضوع إلى تسجيل النتائج والتوصيات التالية:

– سعة مصادر السيرة النبوية وتعدد أشكال الكتابة فيها، مما يؤكد اهتمام المسلمين بها من عدة مداخل

– استمرار اهتمام المسلمين في العصر الحديث بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبروز الاهتمام بتحقيق رواياتها وتحليلها ودراستها لاستخراج الفوائد والدروس والعبر منها.

– الإسهام الفاعل للدراسات الدعوية للسيرة النبوية وسعة مجال هذه الدراسات، وتأكيد أهميتها، وتعدد مجالاتها

– تعدد أشكال الكتابة وطرقها في مجال الدراسات الدعوية للسيرة النبوية.

– ضرورة الاهتمام بالدراسات الدعوية للسيرة النبوية، وتنويعها وتعدادها، ووضع الخطط في الأقسام العلمية للباحثين؛ ليسيروا على بينة تؤدي إلى تميز البحث في فقه الدعوة في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، والذي يعود –بإذن الله– بالنفع والفائدة على الدعوة والدعاة والمدعوين. ولله در أستاذنا الدكتور الشاهد البوشيخي حين قال: (إذا كانت هناك جبهة علمية دعوية يجب الحسم فيها اليوم بأسرع ما يمكن، وأضبط ما يمكن فهي جبهة السيرة لارتباطها الشديد الكبير بفقه المنهاج الذي على وزانه صنع النموذج الدعوي الأكمل)[3]. وعسى الله الكريم الرحيم أن يقيض لها عبادا له أولي هم وهمة ومهمة، ينوبون عن الأمة فيكشفون الغمة.ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريبا. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

[1] – بطل الأبطال لعبد الرحمان عزام. ص:5

[2] – سورة الأحزاب 45-46.

[3] – الدعوة: مفهومها ومصادرها. مقال مرقون

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الابتلاء وأثره في الدعوة في العهد النبوي، بحث متمم لنيل درجة الماجستير، إعداد: عبد الله بن سعد بن إبراهيم الفالح، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض 1404 – 1405هـ.

إتباع الهوى لدى المدعو في العهد النبوي، رسالة ماجستير، إعداد: مصطفى بن عبد الرحمن البار، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، 1417هـ.

اتجاهات الكتابة والتصنيف في السيرة النبوية ودراساتها الدعوية د. إبراهيم بن صالح الحميدان. نشر في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد 40 شوال 1423هـ

أساليب خصوم الدعوة في العهد المدني ومظاهرها في العصر الحاضر، رسالة دكتوراه، إعداد: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، كلية الدعوة والإعلام،قسم الدعوة والاحتساب 1417هـ.

أساليب المشركين في الصد عن الدعوة في العهد المكي ومظاهرها في العصر الحاضر، رسالة ماجستير إعداد حمزة بن سليمان الطيار، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، 1416هـ.

أضواء على دراسة السيرة ، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1411هـ.

الإيواء والنصرة في العهد النبوي، بحث متمم لنيل درجة الماجستير، إعداد: إبراهيم بن عبد الرحمن الجريد، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض 1405 – 1406هـ.

دعوة النبي صلى الله للأعراب: الموضوع – الوسيلة – الأسلوب، رسالة ماجستير. إعداد: حمود بن جابر الحارثي. كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، 1417هـ.

الدعوة في عهدها المكي، رسالة ماجستير، إعداد: ممدوح عبد العزيز الهياتمي، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض 1402 – 1403هـ.

دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء، رسالة ماجستير، إعداد: الجوهرة بنت محمد العمراني، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب. 1417 – 1418هـ.

الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري. دار الهلال. بيروت. الطبعة الأولى.

رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء والقبائل خالد سيد علي مكتبة دار التراث،الكويت، ط1، 1407هـ.

الرسالة المحمدية، السيد سليمان الندوي، مكتبة دار الفتح بدمشق، والمكتب الإسلامي ببيروت.ط3. 1401هـ.

زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية. تحقيق شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة. الطبعة الرابعة.1410هـ/1990م.

سنن ابن ماجه تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي

سنن الترمذي تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، 1395هـ - 1975م.

سيد الدعاة محمد صلى الله عليه وسلم، حسين محمد يوسف، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة.

السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، دار الشروق بجدة، ط3، 1401هـ.

السيرة النبوية دراسة تحليلية، للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس ، دار الفرقان ، عمان ، ط1، 1418هـ.

السيرة النبوية دروس وعبر ، للدكتور مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط8، 1405 **السيرة النبوية الصحيحة**، للدكتور أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط5، 1413هـ.

السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، للدكتور مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط1 ، 1412هـ.

السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط2، 1412هـ.

صحيح الإمام البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، 1422هـ.

صحيح الإمام مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي – بيروت

صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، دار النفائس، عمان، ط 4، 1419هـ.

الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، دار المعرفة، بيروت، 1403هـ.

فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، ط1، 1402هـ.

فقه السيرة النبوية، لمنير محمد الغضبان، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة بمصر، 1417هـ.

فقه السيرة النبوية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي دار الفكر. دمشق. الطبعة 25، 1426هـ.

مرحلة الإعداد والتربية للني صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، رسالة ماجستير ، إعداد: ماجد بن محمد آل مبارك، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض، 1404-1405هـ.

مسند الشاميين: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي. مؤسسة الرسالة – بيروت. الطبعة الأولى، 1405هـ – 1984م.

مصادر السيرة النبوية وتقويمها، للدكتور فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1400هـ.

معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1 1402هـ.

منهج الدعوة في السيرة النبوية، الأستاذ الدكتور: وهبة الزحيلي، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ط1، 1420هـ.

منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية ، علي بن جابر الحربي، الزهراء للإعلام العربي،القاهرة، ط1 1406 هـ.

منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوة أهل الكتاب، د. محمد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي مكتبة أمين محمد أحمد سالم، المدينة المنورة ، ط1، 1413هـ.

منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال المرحلة الفترة المكية الطيب برغوث، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1 ، 1416هـ.

النبوات: تقي الدين أبو العباس أحمد بن محمد ابن تيمية أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م.

وقفات تربوية من السيرة النبوية ، عبد الحميد جاسم البلالي، مكتبة المنار الإسلامية ،الكويت، ط1، 1408.